عنهُ علىَ عدةِ أسْمَاءٍ تَحْمِلُ في طيْاتها مَعَاني كثيرةٍ:

أسْمَاءُ الخَوْف:

أ - الجُبن: وهوَ مِنْ أبرز أسماء الخوف علىَ الإطلاق، والجَبَان ضد الشجاع، وهو تهَيّب الإقدام علىَ مالاَ ينبغي أنْ يُخاف منه[١].

ب - الخشيَةُ: قالَ في اللسان: خَشِيَ الرَّجُلَ، ويَخْشَى خَشْيَةً، أيْ: خَاف، وَخَشَاهُ: خَافَهُ[٢].

ج - الفَزَعُ: تقول: خاف من كذا، فَزِعَ، وأخافهُ الأمر: فزع منه[٣].

د - الرُّعبُ: وهو خوفٌ مَصحوبٌ بِفَزَعٍ، قال في القاموس: رَعُبَ رُعْبَاً: خاف وفزع، وأرعبه: خَوَّفَهُ وأفزعه[٤]. ومثله: (الوجل).

---

(١) القاموس المحيط.

(٢) لسان العرب ١٤/٢٢٨ والقاموس المحيط.

(٣) القاموس المحيط (٢٠٤).

(٤) القاموس المحيط (٣٥٤).

الطبعة الأولي

١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م

دار المقتطف للنشر و التوزيع

الرياض المملكة العربية السعودية

الرياض- خميس مشيط

جوال : ٠٥٥٧٧٥١١٠٠

تليفاكس: ٠٧/٢٢٢١١٠٠

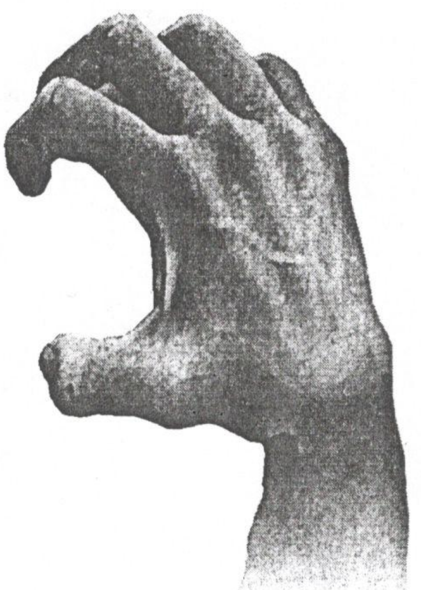
ص.ب ٣٨٠٩٨٠ - الرياض ١١٣٤٥

E.M:ALMOKTATAF@HOTMAIL.COM

قال رسول الله ﷺ: «الناس كالإبل المائة لا تكاد تجد فيها راحلة» متفق عليه

٤

لماذا الخوف؟



تأليف

أبي المنذر خليل بن إبراهيم أمين

بسم الله الرحمن الرحيم

استهلال

الْحَمدُ لله وَحْدَهُ، والصَّلاة والسَّلام علىٰ مَنْ لاَ نبي بعده، وبعد:

فأكْتُبُ هَذه الكلمات ويملَؤني التفاؤل، ويَحْدُوني الأمل، وكُلي ثِقَةٌ بِأنَّ الفَرَجَ قريبٌ..

- فمَا طالَ ليلٌ حَالكٌ إلاَّ وأَعْقَبَهُ ضَوء الفجر
- وَمَا اشتد ضيقٌ إلاَّ ومعهُ السِّعةُ
- وَمَا تعاقبَ بلاءٌ إلاَّ وقرينهُ العافية
- وَمَا عَظُمت شدَةٌ إلاَّ وبيدها اليُسر

فَثقوا، وأَبْشرُوا، وأَمِّلوا، ﴿ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسراً ۝٥ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً ۝٦ ﴾ [الشرح: ٥، ٦]، ولَنْ يغلب عُسر يُسْرين.

فالله - تبارَكَ وتعالىٰ - بمنه وكرمه ولطفه، يُهيئُ - في أحلكِ الساعاتِ - رجالاً عِظَامَاً يُقَدِرُون المَسْؤولية،

ويَحْـملُونَ الأَمانة، أُولئكَ هُـمْ أصحـاب الأعـمـال الناجحـة، والحـيـاة السـعـيـدة، الذين تَعِـزُّ بِـهِمْ أُسَـرِهِمْ، وَتَسْـمُـو بِهِمْ أوطانهم.

وَإِذَا كانَ هُنَاكَ منَ الرِّجال مَنْ يَـعْدلُ أَلفَ رَجُلٍ، فَهُنَاكَ - علَىَ النَّقـيض - مَنْ هُوَ فِي مـيـزانِ الرِّجـال لاَ يَعْـدلُ جَنَاَحَ بَعُوضة، والنَّاس كـمَا قالَ النبيُّ ﷺ: (كَالإبلِ المـائة لاَ تكادُ تَجِدُ فِيهَا راحلةٌ)(١).

كُلُّ مَـا أُريدَهُ منْكَ وَأَنْتَ تَقْـرأُ كلمـات هَذه الرِّسَـالة، أَنْ تَنْسَىَ أَنَّكَ تقْرأُ كتَـاباً بُغْيَتُكَ أَنْ تَنْتَهِيَ منْهُ ثُمَّ تَضَـعَهُ بَعْدَ قَليل، وَلكنْ أُريدُ منْكَ أَنْ تَقف مَعَ نَفْسك، وَتَنْظُرُ فِي ذَاتك، وَتُفَتِّشُ فِي أَعْمَاقك، أُريدُ منْكَ أَنْ تقْرَأَ لتَعْمَلَ، وَتَعْـمَلُ لتَتَحَولُ، فَهَذه (الجُرْعـات النَّفْسيـة) الَتِي بَيْنَ يَدَيْكَ تَأْخُذُ بِيَدكَ لتَـضَعَكَ فِي مَصَافِّ عُظَمَاء الرِّجَال.

خليل إبراهيم

---

(١) متفق عليه، صحيح البخاري رقم (٦١٣٣) ٥/ ٢٣٨٣، وصحيح مسلم رقم (٢٥٤٧) ٤/ ١٩٧٣.

مدخل

وعلى طريق إعداد الرجال نعالج موضوع الخوف فماذا فعل بنا الخوف؟ وما الذي جناه علينا؟!!

لقد ترك الخوف في النفوس علامات فارقة، وعلى الوجوه بصمات واضحة، مع أن الكثير من الخوف الذي نشعر به هو خوف من الوهم ضَخَّمَه الشيطان وغذاه الكسل، إنه يشبه خوف الأسد من الحمار الذي نقلته لنا كتب الأدب.

فتزعم العرب: أن الأسد رأى الحمار، فرأى شدة حوافره، وعِظم أذنيه، وكِبر أسنانه، وطول ساقيه، واتساع بطنه؛ فهابه وخاف منه، وقال في نفسه: إن هذه الدابة خلقها عظيم منكر، وإنه خليق به أن يغلبني، فلو زرته ونظرت ما عنده، ثم دنا منه رويداً رويداً وقال له: ياحمار، أرأيت أسنانك العظيمة هذه لأي شيء هي؟ قال الحمار: للحنظل وجرش الفول، فقال الأسد: قد أمنت أسنانه، ثم قال له: أرأيت أذناك الطويلتين المنكرتين لأي شيءٍ هما؟ فقال الحمار: لأطرد بهما

الذباب، فقال الأسد: قد أمنت رأسه، ثم قال له: أرأيت حوافرك المنكرة هذه لأي شيء هي؟ قال الحمار: لأطأ بها الأكم، فقال الأسد: قد أمنت حوافره، ثم قال له: أرأيت سيقانك الطويلة هذه لأي شيء هي؟ فقال الحمار: لأعدو بها وقت الهرب، وهنا توقف الأسد ولم يسرد باقي أسئلته وعلم أن الحمار لا غناء عنده، فوثب عليه وبقر بطنه وافترسه.

إن هذه القصة ترسم لنا بوضوح شديد صورة متناهية في الدقة لحال الكثير منا مع الخوف، وتبين لنا أن كثيراً من الخوف الذي ينتابنا هو خوف من الوهم الذي لا حقيقة له في عالم الواقع، فالجميع يعلم أن الأمر كله لله، ومنه، وبيده، فالرزق مقسوم، والأجل محتوم، وأن ما أخطأ لا يصيب، وأن سهم المنية لكل أحد نافذ فكل نفس ذائقة الموت، وأن ما قُدِرَ أزلاً لا يُخشى فيه الفوْت...

إذاً لماذا كل هذا الخوف ؟

سؤال انتظرنا عليه الإجابة طويلاً في زمن الخوف، ولعلك تجد الإجابة عليه في ثنايا هذه الكلمات.....

❁ ❁ ❁

تعريفُ الخوف

اختلفَ العُلماء - رَحِمهم الله - في تعريف الخوف مَعَ اتفاقهم على المعنى، فجاء في القاموس: الخوف: هو انفعالٌ في النفس يحدثُ لتوقع ما يرد مِنَ المكروه أو يفوت من المحبوب، فَيُقَالُ: خافَ علىَ كذا، وخاف من كذا، وخاف عليه(١).

وقال الغزالي: الخوف: تألُم القلب واحتراقه بسبب توقُع مكروه في المستقبل(٢).

وقال الكفوي: الخوف: غمٌّ يلحق لتوقع المكروه، وكذا الهَمُّ، وأمَّا الحُزن فهو غَمٌّ يَلْحِقُ من فواتِ نافعٍ أو حُصُولِ ضَارٍ(٣).

وقالَ ابنُ القيمِ: الخوفُ هُوَ هُروب القلب مِنْ حُلول المَكْروه عندَ استشعاره(٤)، ويأتي الخوف في مَعْرِضِ الكلام

---

(١) القاموس المحيط، مادة الخوف ص (٢٦٢).

(٢) إحياء علوم الدين للغزالي ٣/.

(٣) الكليات ص (٤٢٨).

(٤) مدارج السالكين ١/ ٥٤٣.

هـ - الرِّعديد: وهو اضطراب الجبان وارتعاده عند القتال وغيره جبناً [١].

قال ابن القيم - رحمه الله -: والوجل، والخشية، والرهبة، ألفاظ متقاربة غير مترادفة [٢]. والخوف محله القلب كما أن الشجاعة محلها القلب أيضا.

❁ ❁ ❁

أقسام الخوف

وينقسم الخوف إلى ثلاثة أقسام رئيسية:

الأول: الخوف المحمود، وفيه أقسام:

١ - **خوف السر**: وهو خوف التألُه والتعبُد والتقرُب وهو الذي يزجر صاحبه عن معصية من يخافه خشيةً مِن أنْ يُصيبه بما شاء من فقرٍ، أو قتلٍ، أو غصب، أو سلب نعمة، ونحو

---

(١) القاموس المحيط (١٠١٤).

(٢) انظر مدارج السالكين، لابن القيم ١/ ٥٤٩.

ذلك بقدرته ومشيئته. فهذا القسم لا يجوز أن يُصرف إلاَّ لله - عز وجل - وصرفه له يعد من أجلّ العبادات ومن أعظم واجبات القلب، بل هو ركن من أركان العبادة، ومن خشي الله على هذا الوجه فهو مُخلص موحد، ومن صرفه لغير الله فقد أشرك شركاً أكبر؛ إذْ جعلَ لله نداً في الخوف، وذلك كحال المشركين الذين يعتقدون في آلهتهم ذلك الاعتقاد، ولهذا يخوِّفون بها أولياء الرحمن كما قال قوم هود عليه السلام الذين ذكر الله عنهم أنَّهم خوَّفوا هوداً بآلهتهم فقالوا: ﴿إِن نَّقُولُ إِلاَّ اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ﴾ [هود: ٥٤]، وكحال عُبَّاد القبور، فإنَّهم يخافون أصحاب القبور من الصالحين بل من الطواغيت كما يخافون الله بل أشد، ولهذا إذا توجهت على أحدهم اليمين بالله أقسم بما شاء من الأيمان صادقاً أو كاذباً، فإذا كانت اليمين بصاحب التربة لم يقدم على اليمين إن كان كاذباً، وما ذاك إلاَّ لأنَّ المدفون في التراب أخوف عنده من الله. وكذا إذا أصاب أحداً منهم ظُلم لم يطلب كشفه إلاَّ من المدفونين في التراب، وإذا أرادَ أحدهم أنْ يظلم أحداً فاستعاذ المظلوم بالله لم يعذه، ولو استعاذ بصاحب التُربة أو بتربته لم يقدم عليه بشيء ولم يتعرض له بالأذى.

٢ - الخوف من وعيد الله: وهذا هو القسم الثـاني من أقسام الخوف المحـمود، وهو الخوف من الوعيـد الذي توعد الله به العصاة من خلقه وهذا مـن أعلى مراتب الإيمان وهو درجات ومقامات وأقسام.

القسم الثاني: الخوف المذموم:

١ - خوف منهي عنه: وهو أن يترك الإنسان مـا يجب عليه شرعاً كالجهاد في سبيل الله، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بغير عذر إلا لخوف الناس، وكـحال من يفر من الزحف خوفاً من لقاء العدو فهذا خوف محرم ولكنه لا يصل إلى الشرك.

٢- الخوف الوهمي : كالخوف الذي ليس له سبب أصلاً أو له سبب ضعـيف جداً فهذا خوف مذموم و يدخـل صاحبه في وصف الجبنـاء وقـد تعـوذ النبي ﷺ من الـجـبن لأنه من الأخلاق الرذيلة، ولهـذا كان الإيمان الـتام والتوكل الصـحيح أعظم ما يـدفع هذا النوع من الخوف ويمـلأ القلب شجـاعة، فكلمـا قوي إيمـان العبد زال من قلبـه الخـوف من غيـر الله، وكلما ضعف إيمـانه زاد وقوي خوفه من غيـر الله، ولهذا فإن خواص المؤمنين وأقوياءهم تنقلب المـخاوف في حقهم أمناً

وطمأنينة لقوة إيمانهم و لسلامة يقينهم وكمال توكلهم ﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَانقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ ﴾ [آل عمران: ١٧٣، ١٧٤].

القسم الثالث: الخوف المباح:

هو الخوف الطبيعي: ومنه ما يُذم ويُحمد، فالمحمود كالخوف من سَبُع أو عدو أو هدم أو غرق و نحو ذلك مما يخشى ضرره الظاهري فهذا لا يُذم وهو الذي ذكره الله عن موسى عليه السلام في قوله - عز وجل -: ﴿ فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ ﴾ [القصص: ٢١]، وقوله: ﴿ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾ ﴾ [طه: ٦٧]، ويدخل في هذا القسم الخوف الذي يسبق لقاء العدو أو يسبق إلقاء الخطب في بداية الأمر؛ فهذا خوف طبيعي و يُحمد إذا حمل صاحبه على أخذ الأهبة و الاستعداد و يُذم إذا رجع به إلى الانهزام وترك الإقدام.

أحكام الخوف من حيث أقسامه: وينقسم الخوف إلى عدة أقسام منها:

الأول: شرك أكبر: كأن يخاف الإنسان من الأصنام، أو من أصحاب القبور، أو من الأشجار، أو الأحجار، أو الجن،

أو غيرهم من الغائبين أن يفعلوا به ما يضره؛ لاعتقاده أنهم يستطيعون ذلك بغير أسباب حسية، بل بقدرتهم الخاصة، فهذا هو الشرك الأكبر.

الثاني: ما هو بمعصية وليس بشرك: كأن يخاف من الأعداء أو بعض الأقارب أو غيرهم أن يفعلوا ما يستطيعون به من الضرر، وهم أحياء قادرون فيحمله ذلك على فعل بعض المعاصي، أو ترك بعض الواجبات من أجل ذلك. وفي هذا القسم نزلت الآية الكريمة المذكورة، وهي قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾﴾ [آل عمران: ١٧٥] لأن معناها: أن الله - سبحانه وتعالى - نهاهم عن الخوف من المشركين خوفاً يحملهم على ترك الجهاد الواجب.

الثالث: جائز، وهو الذي يحمل صاحبه للأخذ بالأسباب التي شرعها الله لاتقاء الخطر.

الرابع: مندوب إليه، بل هو من أعلى درجات الإيمان وهو الخوف من الله - عز وجل -.

❁ ❁ ❁

مظاهر الخوف على الخائف

مِنَ السهل جداً أنَّ تتعرف على الشخص في حال خوفه عنه في حال سعادته، فبينما يستطيع الكثير من الناس إخفاء مشاعرهم السعيدة؛ إلا أن الكثير - فيما ندر - لا يستطيعون إخفاء مشاعر الخوف الذي ينتابهم إذا ما داخل الخوف قلوبهم.

فالخوف تبدو بوادره الأولى على الجوارح ثم تنعكس على التصرفات، فالنظرات تزيغ، والوجه يمتقع، والفرائص ترتعد، والكلام يتلعثم، وقد يحدُث الدهش في الكلام، كما قال أحدهم حال خوفه: أطعموني ماء، وقال الآخر: أصغوا لي بأفواهكم، ثم يحدث التكأكؤ والنكوص.

تفصيل أقسام الخوف

القسم الأول: الخوف الطبيعي: وهو إحساس بالخطر يلحظه الآخرون، ويأتي كرد فعل طبيعي لخطر أو تهديد حقيقي، وعكسه: غير الطبيعي (المرَضي).

والشعور بالخوف في مواطن الخطر الحقيقية شيء طبيعي، بل مفيد في أحايين كثيرة، بل قد يكون الشخص غير طبيعيٍ إذا لم يداهمه هذا الشعور، فعلى سبيل المثال لا يُلام المرء على خوفه من السبع ومن النار ومن الكهرباء ومن تهديد الظالم، فهذا وأمثاله من الخوف الطبيعي الذي لا يُلام المرء عليه، وأظهر مثال له ما وردَ عن خوف نبي الله موسى وأخاه هارون على نبينا وعليهم أفضل الصلاة وأزكى السلام فيما قصه الله - تبارك وتعالى - عنهم بقوله: ﴿قَالا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَن يَطْغَىٰ ﴿٤٥﴾﴾ [طه: ٤٥].

قال أهل التفسير: خاف أن يعجل ويبادر بعقوبتهما، فيعتدي عليهما، وهما لا يستحقان منه ذلك"(١).

لكن الذي ينبغي التفطن إليه أن هذا الخوف الطبيعي الذي أبداه كليم الله موسى عليه السلام من الطاغية فرعون الجبار لم يقعد به عن بلاغ رسالة ربه، فقد ذكر ابن كثير - رحمه الله - أن موسى وهارون خرجا فوقفا بباب فرعون يلتمسان الإذن

(١) انظر تفسير ابن كثير ٣/٢٠٨، وفتح القدير للشوكاني ٣/ ٥٢٥.

عليه، وهما يقولان: «إنَّا رسولاَ رب العالمين، فآذنوا بنا هذا الرجل، فمكثا فيما بلغني سنتين يغدوان ويروحان لا يعلم بهما ولا يجترئ أحد على أن يخبره بشأنهما حتى دخل عليه بطال له يلاعبه ويضحكه، فقال له: أيها الملك، إن على بابك رجلاً يقول قولاً عجيباً، يزعم أن له إلهاً غيرك، وفي رواية: أن موسى عليه السلام ضرب باب القصر ضربة سمعها فرعون»(١).

شيءٌ من الخوف لابد منه لكل أحد:

قال تعالى: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمْوَالِ وَالأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (١٥٥) ﴾ [البقرة: ١٥٥]، ففي هذه الآية الكريمة يُخبر الله - جلَّ جلاله - أن الخوف هو أحد المحن والبلايا والتي يبتلي الله بها من يشاء من عباده.

الحكمة من حصول هذا الخوف:

١ - الابتلاء لتمييز الصادق من الكاذب: قال الشيخ السعدي - رحمه الله -: «لابد أن يبتلي عباده بالمحن؛ ليتبين الصادق من

(١) انظر المصدر السابق.

الكاذب، والجازع من الصابر، وهذه سنة الله - تعالى - في عباده؛ لأن السراء لو استمرت لأهل الإيمان، ولم يحصل معها محنة لحصل الإختلاط الذي هو فساد، وحكمة الله تقتضي تمييز أهل الخير من أهل الشر»[١]، وقد حصل هذا التمايز حينما اشتد الخوف بالصحابة ﷺ حينما تحزب الأحزاب من أهل مكة والحجاز وجموع قبائل العرب عليهم فيما وصفه الله - تبارك وتعالى - في قوله: ﴿إِذْ جَاءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾﴾ [الأحزاب: ١٠، ١١]، فماذا كانت نتيجة هذا الخوف والزلزال الشديد؟

النتيجة أن تبين المؤمن الصادق من الدعيّ الكاذب المُضْمِر للنفاق، قال - تعالى - عقب هذه الآية مباشرة: ﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا

---

(١) تيسير الكريم الرحمن، للشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي ص (٦٢).

غُرُوراً ﴿١٢﴾ [الأحزاب: ١٢]، قال الشيخ السعدي: «وهذه عادة المنافق عند الشدة والمحنة لا يثبت له إيمانه»(١)، وقد ظهرت هذه الحكمة أيضاً في غزوة أُحُد حينما أصاب الخوف والجراح جمعاً كبيراً من الصحابة ﷺ، قال - تعالى -: ﴿وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ﴾ [آل عمران: ١٥٤]، قال ابن كثير: «أي: يختبركم بما جرى عليكم ليميز الخبيث من الطيب ويظهر أمر المؤمن من المنافق»(٢).

٢- زجر أهل الشهوات وقمع المجرمين من التعدي على حدود الله: قال - تعالى -: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ [النور: ٢]، فالحكمة من شهود هذه الطائفة إقامة هذا الحد هو حصول الردع والانزجار بالخوف الحاصل من العقوبة والتشهير.

٣- حفظ الضرورات الخمس: ولولا هذا الخوف لما حصلت الحكمة من حدِّ الحدود لحفظ الضرورات الخمس وهي:

---

(١) تيسير الكريم الرحمن، (٧١٩).

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ١/ ٤٢٧.

الدين والعرض والعقل والنفس والمال

٤- **التوبة والاستقامة على الجادة:** ولولا حصول هذا الخوف أيضا لما كان لتخويف الله بالنار في كتابه أي معنى، ولَمَا تاب العاصي وانقمع، ولَمَا استقام المنحرف ورجع، وهذا من أجلِّ حكمة تكرار ذِكر الجنة والنار في القرآن الكريم.

٥- **الإقدام والإحجام:** ولولا هذا القدر من الخوف أيضاً لثبت المرء في مواضع الإحجام التي يكون فيها حتفه وهلاكه.

ضوبط في الخوف الطبيعي:

١- شيء من الخوف لا بد منه للعبد ابتلاءً من الله وامتحاناً.

٢- للابتلاء بالخوف حكم كثيرة منها: التمحيص والاختبار، والزجر والتخويف.

٣- العبد مطالب بالصبر والتحمل عند الابتلاء بالخوف.

٤- في الصبر على الابتلاء بالخوف العاقبة الحميدة والثواب الجزيل.

٥- لهذا الخوف فوائد منه:

■ إنابة العبد ورجوعه إلى الله كما قال أحد السلف: كل شيء خفت منه هربت منه إلا الله إذا خفت منه هربت إليه.

■ حفظ الضرورات الخمس، والتي بها يعم الأمن في المجتمع.

■ الإقدام في موضع الإقدام والإحجام في موضع الإحجام.

غير أن الخوف الطبيعي الغريزي إذا تعدى طوره وزاد عن حده نما وترعرع في النفس شيئاً فشيئاً حتى يُصبح جُبناً، فيخشى صاحبه المواجهة في الحق، ويخشى الوحدة، ويخشى المطالبة بحقوقه، حتى يصبح يخاف مما لا يُخاف منه في الغالب، فلا يقوى على ذبح شاة أو دجاجة، ولا يجرؤ على إقامة حد، ولو سُئل عن سبب ذلك لأجاب بأنها رحمة، ونسي المسكين أن رسول الله ﷺ ذَبَح في موضع واحد ثلاثاً وستين بدنة بيده، وأقام الحد، ورجم بالحجارة حتى الموت، وضرب الأعناق في سبيل الله، هذا وهو أرحم الخلق على الإطلاق وصف - تبارك وتعالى - رحمته تلك بقوله: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [التوبة: ١٢٨]، فينبغي على

المرء أن يبادر باستئصال دواعي الخوف من نفسه، قبل أن ينمو ويُصبح جبناً مرذولاً مبغوضاً ممقوتاً.

القسم الثاني: الخوف غير الطبيعي (المَرَضي).

وهو إحساس بالخطر يلحظه الآخرون ويأتي كرد فعل غير طبيعي لخطر غير حقيقي.

وهذا النوع من الخوف يعتبر «مرضاً خالصاً» كأمراض القلب والكبد والكلى وغيرها، ولابد من المبادرة بعلاجه وحسم مادته قبل أن يقعد بالمرء في زاوية من النكوص والإهمال والتردي، ويحجبه عن كثير من الفضائل والمحامد ومكارم الأخلاق، ويمنعه عن كثير من الواجبات المُتحتمات عليه: كطلب العلم الواجب، والسعي على الرزق، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والدفاع عن الحق، وقمع أهل الباطل، والدفاع عن المظلوم وغيرها من الوجبات.

أما أهل الطب فقالوا عنه: «إنه خوف دائم من وضع أو موضوع - (شخص أو شيء أو موقف او فعل أو مكان) - غير مخيف بطبعه، ولا يستند إلى أي أساس من الواقع، ولا

يمكن ضبطه أو التخلص منه، أو السيطرة عليه»[١].

مستويات الخوف

ويقسم علماء النفس الخوف إلى مستويات ثلاثة هي:

المستوى الأول: خوف ظاهر، وينقسم إلى قسمين هما:

أ - الخوف الذي يحدث بدون تدخل منا.

ب- الخوف الذي يحدث ويتطلب تدخل منا.

المستوى الثاني: خوف داخلي، ومخاوف هذا المستوي تتصل بالحالة الذهنية الداخلية وليس للمواقف الخارجية أي تدخل فيها، وهذا المستوي من الخوف يعكس الإحساس بالذات والقدرة على التعامل مع الناس، وهذا يفسر حدوث الخوف العام، فإذا كنت خائفاً من أن يرفضك الآخرون، فإن هذا الخوف سيؤثر على جميع نواحي حياتك تقريباً، في عملك وعلاقاتك العامة، ونتيجة لذلك فأنت تبدأ في الانغلاق على ذاتك ورفض التواصل مع العالم من حولك.

---

(١) الصحة النفسية / الدكتور/ حامد زهران ص (٤١٧).

المستوى الثالث: وهو أكبر من جميع المخاوف على الإطلاق، وهو العقبة الأولى التي تعترض طريق سير المرء الناجح في الحياة، وتتلخص جميعها في هذه العبارة:

لا أستطيع التغلب على....... !!

نعم! هذا هو أساس كل المخاوف، فقدان الثقة في القدرة على مواجهة الحياة وبالإمكان ترجمتها إلى ما يلي:

- لا أستطيع مواجهة الغد
- لا أستطيع مواجهة الوقوع في الخطأ
- لا أستطيع مواجهة الإحراج من الآخرين
- لا أستطيع مواجهة خبر مزعج
- لا أستطيع مواجهة المرض
- لا أستطيع مواجهة عدم الحصول على وظيفة
- لا أستطيع مواجهة الرسوب والفشل

هي تتلخص ببساطة في كلمة واحدة: لا أستطيع

إن خطورة هذا النوع من الخوف أنها تصل بالمرء إلى أخطر المراحل وهي : الجبن الخالع الذي يقعد بالمرء في زاوية من النكوص والفشل في الحياة، فما هو الجبن؟

قال رسول الله ﷺ:

(شــر مــا في الــرجل: شحّ هالع، وجبن خالع).

السلسلة الصحيحة للألباني

الجُبُن الخَالع

الجبن: هو تهيُب الإقدام على ما لا ينبغي أنْ يُخاف منه[١]، فالجبان من الرجال: هو الذي يهاب التقدُم على كل شيءٍ ليلاً كان أو نهاراً[٢].

إذا عرفتَ هذا، كانت هذه المعرفة كفيلة بإشباع مشاعرك بالتوقف فوراً عن تقبل جميع الأفكار السلبيّة الجالبة للخوف، والتي تقوم بشلّ حركتك في الحياة، وإحلال أفكاراً إيجابية شجاعة محلها، تجعل منك أكثر ثقة بنفسك وقدراتك، ولو وقفت على ما ورد في ذَمِّ الجبن في الكتاب والسنة وأخبار العرب لكان ذلك مدعاةً لكَ بأنْ تتوقف فوراً عن تسميم ذاتك بهذه الأفكار السلبية وإليك البيان.

ذمّ الجُبن:

جاءَ الكتاب الكريم والسنّة النبوية المُطهرة بِذمٍّ الجُبن،

(١) المعجم الوسيط ص (١٠٦).

(٢) لسان العرب، ابن منظور ١٣/ ٨٤.

فقد جَبَلَ الله قُلوب الخلق على بُغْض الجُبن والنَّفرة من الجبَان، ومِنْ أخبارِ العرب أنَّهم كانوا إذا أرادوا المدح مدحوا بالشجاعة والكرم، وإذا أرادوا الذمَّ ذموا بالجُبن والبُخل وفي النِقاط التاليةِ ما يُوضِحُ ذلكَ الأمرَ ويُجلَيه:

١ - أنَّ جُبْن الجبان لَنْ يُقدم ولا يُؤخر من أجَلِه شيئاً: وقد أكْذَبَ الله - تبارك وتعالى - أطماع الجُبناء علىَ ظنِّهم أنَّ الجُبن يُنَجيهم من الموت أو القتل فقال تعالى: ﴿قُل لَّن يَنفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذًا لاَّ تُمَتَّعُونَ إِلاَّ قَلِيلاً ﴿١٦﴾﴾ [الأحزاب: ١٦]، قال ابن كثير: «إن فرارهم لا يؤخر آجالهم، ولا يطول أعمارهم، بل ربما كان ذلك سبباً في تعجيل أخذهم غرةً، ولهذا قال: ﴿وَإِذًا لاَّ تُمَتَّعُونَ إِلاَّ قَلِيلاً﴾، أي: بعد هربكم وفراركم [(١)]».

وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالُوا لإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا قُلْ فَادْرَءُوا عَنْ أَنفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٦٨﴾ وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ

---

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير.

﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلاَّ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾﴾

[آل عمران: ١٦٨ - ١٧٠].

وذم - تبارك وتعالىٰ - من يجبن ويخاف العدو ويقعد عن الجهاد فقال: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلا أَخَّرْتَنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَىٰ وَلا تُظْلَمُونَ فَتِيلاً ﴿٧٧﴾﴾ [النساء: ٧٧]، وفي الكلام عن هذا الفريق ثلاثة أقوال:

الأول: أنَّهم مُنافقون.

الثاني: أنَّهم نَافقوا لمَّا كُتِبَ عليهم القتال.

الثالث: أنَّهم حصَلَ منهم جُبْنٌ وخور.

وكُلها أوابدٌ آخِذٌ بعضها برقابِ بعض.

٢- قدْ نهانا اللّه - تبارك وتعالىٰ - عن ضعف القلب بقوله: ﴿وَلا تَهِنُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾﴾ [آل عمران: ١٣٩]، ومعلوم أنَّ واهِنَ البـدن معذورٌ في الأصل في

قوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلا عَلَى الأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ﴾ [الفتح: ١٧]، فعُلِمَ أن الوهن المنهي عنه هو وهن القلب.

٣- أخبرَ النبي ﷺ بأنَّ الجُبن هو شر ما في الرجل فقال: (شر ما في الرَّجُل شحٌ هَالعٌ، وجبنٌ خَالعٌ)(١)، وكان ﷺ يستعيذ من الجُبن كما جاء في حديث أنس المشهور وفيه يقول ﷺ: (وأعُوذُ بكَ منَ الجُبن والبُخل)، ونهى كذلك عن العجز بقوله: «ولا تَعْجَزْ» ونفى ﷺ الجبن عن نفسه حين تعلَّق به بعض الأعراب عند رجوعه من غزوة حنين يسألونه العطاء فقال لهم: (أعْطُوني رِدَائِي لَوْ كَانَ لِيَ عدد هذه العضاة نعَماً لقسمته بينكم ثُمَّ لا تجدوني بَخيلاً ولا كذوباً ولا جباناً)(٢).

---

(١) مسند الشهاب، رقم (١٣٣٨) ج (٢) ص (٢٧٠)، وصصحه الألباني.

(٢) صحيح البخاري رقم (٢٦٦٦) ٣ / ١٠٣٨ ، ورقم (٢٩٧٩) ٣/ ١١٤٧.

٤ – الجُبُن يؤخر صاحبه وإن كان صالحاً: قال شيخ الإسلام – رحمه الله –: (القوة في إمارة الحرب ترجع إلىٰ شجاعة القلب... فيُقَدم في إمارة الحرب الرجل القوي الشجاع وإن كان فيه فجور علىٰ الرجل الضعيف العاجز وإن كان صالحاً، كما سُئِلَ الإمام أحمد عن الرجلين يكونان أميرين، أحدهما: قويٌ فاجر، والآخر: صالح ضعيف، مع أيهما يُغزي؟ فقال: أما الفاجر القوي فقوته للمسلمين وفجوره علىٰ نفسه، وأما الصالح الضعيف فصلاحه لنفسه وضعفه علىٰ المسلمين، فيُغزىٰ مع القوي الفاجر، وقد قال النبي ﷺ: (إن الله يؤيد الدين بالرجل الفاجر) أ.هـ

وبسبب جُبُن بني إسرائيل وخوفهم من لقاء عدوهم وقولهم لنبيهم: ﴿قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا أَبَداً مَّا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [المائدة: ٢٤] ضرب الله عليهم التيه في الأرض أربعين سنة، لا يهبطون قرية ولا مِصراً، ولا يهتدون إلىٰ الأرض المقدسة، ولا يشربون إلا من ماء الأطوار عقوبة عليهم بسبب خوفهم وجبنهم.

٥- الجُبن هو أول طريق الهزيمة وانكسار الشوكة: ولم يُرخص الفقهاء في المبارزة إذا دَعَا إليها الكافر إلاَّ للشُجاع الفاتك الذي يُعرف منه القوة والشجاعة، فإن كان لا يثق فيه بشجاعته كُره له أن يجيب للمبارزة؛ لِمَا فيه من كسر قلوب المسلمين بقتله ظاهراً، بل يُباح للشجاع أن يطلبها ابتداءً لأنه غالبٌ بحكم الظاهر، كما وقع ذلك من بعض الصحابة ﭫ.

٦- لا يَزال الجُبن بالمرء حتى يُصبح مُعوقاً فكرياً واجتماعياً: ولا يُنظر إليْه إلاَّ من باب الرِّثاء لحاله والشفقة عليه، أي أن يُصبح من سَقط متاع المجتمع، وما أجمل قول قطري بن الفجأة:

أَقُولُ لها وقد طارت شُعاعاً ... من الأبطال ويْحَكِ لن تُرَاعي
فإنَّكِ لَوْ سألتي بقاء يوم ... على الأجل الذي لك لنْ تُطَاعي
فصبراً في مجال الموت صبراً ... فما نيل الخُلود بمُسْتطاع
وما ثوب الحياة بثوب عزٍ ... فيُطوي عن أخي المَنْع اليراع
سبل الموت غاية كل حي ... وداعيه لأهل الأرض داع
ومن لم يغتبط يسأم ويهرم ... وتُسْلِمه المَنُون إلى انقطاع
وما للمرء خيرٌ في حياةٍ ... إذا ما عُدَ من سقط المتاع

٧- بَالغت العربُ في ذمّ الجُبن، وهجاء الجُبناء في قصصهم وأشعارهم:

وذلك تنفيـراً من الجُبن، وحـملاً لصاحـبه علىٰ التـحلّي بأخلاق الشُجعان، فمن مشهور قولهم: «أمُّ الجبان لا تفرح ولا تحزن».

قالوا: لأنَّه لا يأتي بِخير ولا بِشر أينما توجه لِجُبْنه

ومن أقوالهم: «عَصَا الجبان أطول».

قال أبو عبيد: أحسَبه يفعلُ ذلك من فَشَله يرىٰ أن طُولها أشدُّ ترهيباً لعدوه من قِصرها.

ولمْ ينس التاريخ - كما هي عادته - أن يُسَطِر لنا شيئاً من قــصص الجــبناء التي تـدعــو إلىٰ الرِّثاء وإليـكَ طرفٌ من أخبارهم.

مِنْ أخبارِ الجُبَناء:

١ - عُروة بن مرثد (أبو الأغَر) قالوا عنه:

كانَ بالبـصرةِ شيخٌ مِنْ بني نـهشل يُقالُ له عُـروة بن مرثد ويُكنىٰ أبا الأغـر ينزل ببني أخـت له في سِّكة بني مـازن، وبنو أخـته من قُـريشَ، فـخـرج رجالهم إلىٰ ضِـيـاعهـم في شهـر رمضان، وخرج النساء يُصَلِين في مسجدهم فلما يبقَ في الدار

إلا الإماء فدخل كلبٌ يعشُّ فرأي بيتاً فدخله وانصفق الباب، فسَمِعَ الحركة بعض الإماء فظنوا أنَّ لِصّاً دخل الدار فذهبت إحداهُنَّ إلى أبي الأغر فأخبرته، فقال أبو الأغر: ما يبتغي اللص ؟ ثم أخذ عصاه وجاء، فوقف على باب البيت وقال: إيه، يا ملأمان(١)، أما والله أنَّكَ بي لعارف، فهل أنت إلاَّ من لُصوص بني مازن، شربت حامضاً خبيثاً حتى إذا دارت القدوح في رأسك مَنَّتْكَ نفسك وقلت أدخل ديار بني عمرو والرجال خُلوف والنساء يُصَلِّين في مسجدهم فأسرقهم ؟ سوءةً لَكَ، والله ما يفعل هذا ولد الأحرار، وأيم الله، لتخرجن أو لأهتفنَّ هتفةً مشؤومة يلتقي فيها الحيّان عمرو وحنظلة، وتجئ سعد بعدد الحصى، وتسيل عليك الرجال من هاهنا ومن هاهنا، ولئنْ فعلتَ لتكونَنَّ أشأم مولود. فلما رأى أنه لا يُجيبهُ أحدٌ أخذ باللين فقال: أخرج بأبي وأمي، أنت مستور، إني والله ما أراكَ تعرفُني ولو عرفتني لقنعت بقولي واطمأننت إليَّ. أنا – فديتُك – أبو الأغَر النهشليّ، وأنا خال القوم وجلدةٌ

(١) أي: يا لئيم.

بين أعينهم لا يعصونني، ولن تضارَّ الليلة فاخرُج أنت في ذمتي وعندي قوْصَرَتان (١) أهداهما إليَّ ابن أختي البَارُّ الوَصُول فَخُذْ إحداهما فانتبذها حلالاً مِنَ الله ورسوله.

وكانَ الكلبُ إذا سَمِعِ الكلام أطْرق وإذا سكت وَثَبَ يُريغُ المَخرَج، فتهافتَ أبو الأغر ثم تضاحكَ وقال: يا ألأم الناس وأوضعهم لا أرىٰ إلا أني لك الليلة في واد وأنت لي في واد، أُقلِّبُ السوداء والبيضاء فتصيخ وتطرق، وإذا سكتُّ عنك وثبت تريغ المخرج، والله لتخرُجنَّ أو لألجنَّ عليكَ البيت.

فلمَّا طالَ وقُوفه جاءت إحدىٰ الإماء فقالت: أعرَابيٌّ مجنون، والله ما أرىٰ في البيت شيئاً، فدَفَعَتْ الباب فخرج الكلب شَدَّاً وحَادَ عنه أبو الأغر ساقطاً علىٰ قفاه، ثم قال: يالله ما رأيت كالليلة ! والله ما أراه إلاَّ كلباً، وأما والله لو علمت بحاله لَوَلَجْتُ عليه (٢).

(١) وعاء للتمر ويكني بها عن المرأة.

(٢) عيون الأخبار، ابن قتيبة (١/ ٢٥٩ - ٢٦٠).

٢- أبو حيّة النميري:

وكان لَهُ سيفٌ ليس بينه وبين الخشية فرقٌ، وكان يُسميه لُعَابُ المنيّة. قال جارٌ له: أشرفتُ عليه ليلة وقد انتضاه وشمَّر وهو يقول: أيُها المُغتر بنا والمُجْترِئ علينا، بئس والله ما اخترت لنفسك، خيرٌ قليلٌ وسيفٌ صقيل، لُعَابُ المنية الذي سمعتَ به، مشهورٌ ضربته لا تخاف نبوته. أُخرج بالعفوِ عنك وإلاَّ دخلتُ بالعقوبةِ عليكَ، وإنِّي والله إن أدْعُ قيْساً تملأ الأرضَ خيلاً ورْجلاً. يا سبحان الله، ما أطيبها وأكْثرها ! ثم فتح الباب فإذا كلب قد خرج، فقال: الحمد لله الذي مَسَخَكَ كلباً وكفاني حرباً(١).

٣- روحُ بن زنباع:

لما قَتَلَ عبد الملك مُصْعَبَ بن الزبير وجه أخاه بشر بن مروان على الكوفة ووجه معه روح بن زنباع الجذامي كالوزير، وكانَ روح رَجُلاً عالماً داهيةً غير أنَّه كان من أجبن

---

(١) عيون الأخبار، ابن قتيبة (١/ ٢٦١).

الناس وأبخلهم، فلما رأىٰ أهل الكوفة من بُخْله ما رأوا تَخَوّفوا أن يفسد عليهم أمرهم وكانوا قد عرفوا جبنه فاحتالوا في إخراجه عنهم فكتبوا ليْلاً علىٰ بابه:

إنَّ ابن مروان قد حانَتْ مَنيْتَهُ فاحْتَلْ لنفْسِكَ يا روح بن زنباع

فلمَّا أصبح ورأىَ ذلك لم يشُك أنَّهُ مقتولٌ فدخلَ علىٰ بِشر فاستأذنه في الشخُوص فأذنَ له، فخرج حتىٰ قَدِم علىٰ عبد الملك فقال له: ما أقدَمَكَ ؟ قال: يا أمير المؤمنين، تركتُ أخاكَ مقتولاً أو مخلُوعاً. قال: كيف عرفت ذلك؟ فأخبره الخبر فَضَحكَ عبد الملك حتىَ فَحَصَ برجْليه، ثُمَّ قال له: احتال لكَ أهل الكوفة حتىٰ أخرجُوك عنهم (١).

ولعلَّكَ - أخي - داخَلَك شيءٌ من الخفة والطرَافة مع أخبار هؤلاء الجُبناء، وكُلِّي أملٌ أن لا تُنْسِيكَ هذه الطرافة ما نالَ أصحابها من المَلامَةِ والمَذَمَّة والذكْر السيئ علىٰ تطاول الأيام وتعاقب الدُهور، فقد ظلت مسطورة يتناقلها الأحفاد

---

(١) عيون الأخبار، ابن قتيبة (١/ ٢٦٤).

جيل بعد جيل لتشهد على أقوام بأنَّهم كانوا جبناء، فلحقتهم الذلة، ومهانة النفس، وسوء العيش، وقلة الثبات على الأمور، وطمع الناس فيما يملكونه، وتمكن الظالمون من ظلمهم، واستمعوا للقبائح وللسب والقذف، وتحملوا الفضائح في أنفُسهم وأهليهم، وتعطلت الكثير من مصالح دينهم ودنياهم، ومن ثمَّ باتت حياتهم حياة التعساء، وأمثال هؤلاء لا تدري ما الذي يحرصون عليه في هذه الحياة إذا كانت بهذه الصورة ورحم الله القائل:

فإما حياة تسُر الصديق وإما ممات يغيظ العدا

وبالمقابل انظر إلى صور الشجاعة وثمراتها وحياة العز التي يحياها الشجعان...

❁ ❁ ❁

(لقدْ لِقيتُ كَذا وكَذا زحفًا، وما في جسدي مَوْضع شبر إلاَّ وفيهِ ضربةٌ أوْ طعْنةٌ أوْ رميةٌ، ثُمَّ هاأنا أمُوتُ علىَ فِراشِي حَتْفَ أنْفِي فَلاَ نامتْ أعين الجُبناءِ).

أبو سُليمان خالد بن الوليد رضي الله عنه

الشَّجَاعةُ

حقيقةُ الشجاعة: هي مَلَكةٌ يقْتدر بها العبد على قهر خصمه، وهي خُلق بين الجبُن والتهور.

والشجاعةُ خُلقٌ ممدوح محمود محبوب، فهي تحمل صاحبها على عزة النفس ومعالي الأخلاق والشيم، وعلى البذل والندى وكظم الغيظ والحلم، فالشجاع قوي النفس، عالي الشكيمة، مُمْسكٌ بعنان نفسه، كما قال النبي ﷺ: (ليسَ الشديد بالصُّرعة، وإنَّما الشديد الذي يَمْلِكُ نفسهُ عند الغضب)(١).

منزلة الشجاعة:

والشجاعة منزلة بين التهور والجُبن، فالتهور هو الإقدام على ما يمنعه العقل والشره، والجُبن هو الإحجام عن ما يأمر به الشرع والعقل.

---

(١) متفق عليه، صحيح البخاري رقم (٥٧٦٣) ٥/ ٢٢٦٧، وصحيح مسلم رقم (٢٦٠٩) ٤/ ٢٠١٤.

والنفس إذا انحرفت في شجاعتها، انحرفت إمَّا إلىٰ تهوُرٍ وإقدام غير محمود فيلقي صاحبها بنفسه إلىٰ المهالك والمعاطب، والله - تعالىٰ - يقول: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة: ١٩٥]، وإمَّا إلىٰ جُبن وتأخُّر مذموم كما مرَّ بنا، وكلا طرفي الأمور ذميم، فهي خُلق متوسط بين الجُبن والتهور تضبطه ضوابط الشرع.

ثمرات الشَّجاعة:

ويترتب علىٰ خُلق الشجاعة أربعة أمورٍ هي:

الأول: الإقدام في موضع الإقدام

الثاني: الإحجام في موضع الإحجام

الثالث: الثبات في موضع الثبات

الرابع: الزوال في موضع الزوال

وخلاف هذه الأربعة فهو مُخِلٌ بالشجاعة، فهو إمَّا جُبن، وإمَّا تهور، وإمَّا خِفة وطيش.

مراتبُ الشجعان:

وللشُجعانِ مَراتبِ منها:

الأول: الهُمام: وسُمي بذلك لهمته وعزمه.

الثاني: المقدام: وسُمي بهذا من الإقدام وهو ضد الإحجام.

الثالث: البَاسل: وهو اسم فاعل من بسل يبسل، كشرف يشرف، وبَسَلَ: شَجُعَ وعَبَسَ عند الحرب.

الرابع: البطل: وهو الذي يبطُل شجاعة غيره، فتبطُلُ عنده شَجاعة الشُجعان.

الخامس: الصنديد: وهو الذي لا يقوم له شيءٌ فهو الشريف الشجاع.

أقسامُ الشجاعةِ، وهما قسمان:

أ- مَحمودةٌ: : وَهِي التي تُستخدم في نُصرةِ الحق، وقمع الباطل، وتحصيل المنافع العامة والمصالح المشتركة.

ب- مَذْمومةٌ: وَهِيَ التي تُستَخدم في عَصبيةٍ أو حَميةٍ أو جَاهليةٍ مَقيتة، أوْ من أجل حُظوظ النفس الدنيئة.

ضابط الشَّجاعة:

هُوَ إخلاص النيّة في صرف هذا الخُلق النبيل لله - تبارك وتعالىٰ - وإلاَّ دَخَلَ صاحبها في الحميَّةِ والرياء وكلاهُما مُردي في نار جهنم - عياذاً بالله من ذلك - فعن أبي موسي قال: جاءَ رجلٌ إلىٰ النبي ﷺ فقال: الرجُل يُقَاتلُ حميةً، ويُقَاتِلُ شَجاعَةً، ويُقَاتِل رياءً، فأيٌّ ذلكَ في سبيل الله ؟ قال:(من قاتلَ لِتكُونَ كلمةَ الله هي العُليا فهُوَ في سبيلِ الله)(١)

ومن حديث أبي هريرة ﷺ، أنَّ أولُ مَنْ تُسَعَّرُ بهم النار ثلاثةٌ، ثمَّ ذكر منهم: مُقاتلٌ في سبيل الله فقال: (يُؤتَي بالذي قُتلَ في سبيل الله فيُقَال له: في مَاذا قُتلتَ؟)، فيقول: أمَرتَ بالجهَاد في سَبيلك فقاتلت حتىٰ قُتلتُ، فيقولُ الله: كَذَبتَ، وتقُولُ الملائكَةُ: كَذبتَ، ويقولُ الله: بَلْ أردتَ أنْ يُقَالُ: فُلانٌ جرئٌ، فقد قيلَ ذاكَ (قال أبو هريرة): ثُمَّ ضربَ رسولُ الله ﷺ ركبتي فقالَ: (يا أبا هُريْرَةَ، أولئكَ أولُ خَلقٍ تُسَعَرُ

---

(١) متفق عليه، البخاري رقم (١٢٣) ١/٥٨، ومسلم رقم(١٩٠٤) ١٥١٣/٣.

بِهِمُ النَّار يَوْم القيامة)(١).

فَضْلُ الشَّجَاعة:

وللشجاعة فضَائلُ ومَحَامدُ منها:

١- أنَّ الله - تبارك وتعالىٰ - مَدَحَ أهلها فقال: ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩]، وقال: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [المائدة: ٥٤].

٢- الاقتداءُ بالنبيِّ ﷺ فقدْ كانَ ﷺ أشجع الناس علىٰ الإطلاق، وكذلك صحابته الكرام رضي الله عنهم أجمعين (انظر أمثلة لشجاعتهم في كتاب: "كن سباقا " من هذه السلسلة).

٣- أنَّ الشُجاع يَرُدُّ صيته واسمه عنه أذىٰ الخلق، ويمنعهُم مِنَ الاجتراء عليه، فالشجاعةُ وقاية والجُبنُ مقتلة، قالَ ابنُ القيِّم: «لَوْ لَمْ يَكُنْ فِي الشَجَاعَةِ إلاَّ هذه لكفىٰ بِهَا شَرفاً وفَضلاً».

---

(١) صحيح ابن خزيمة (٢٤٨٢) ٤/ ١١٥، وصحيح ابن حبان (٤٠٨) ٢/ ١٣٥، والترمذي (٢٣٨٢) ٤/ ٥٩١.

٤- الشجاع مَحْبُوبٌ مِنْ جميع الخلق، وقد قيل: إنَّ الشجاع مَحْبُوبٌ حتىَ من عدُوه، والجبانُ مَبْغُوضٌ حتىَ من أمِّهِ.

٥- أهْلُ الشجاعة هُمْ أهل حُسْن الظنِ بالله - تعالى - كمَا أنَّ أهل الجُبن هُمْ أهل سوء الظن بالله تعالى.

٦- الشُجاع دَائمًا مُنْشَرِحُ الصدر، مُتَسِعُ القلب، وذلكَ بعَكْسِ الجَبَان فإنَّهُ مِنْ أضيَق الناس صدراً، وأحصَرهم قلباً، ليسَ لهُ فرحةٌ ولا سرور.

❁ ❁ ❁

خمسة عشر سبباً

في استجلاب الشجاعة ومدافعة الجُبن والخوف

أولهما: العقيدةُ الصحيحةُ في الله - جلَّ جلاله - وأسمائه وصفاته، وأفعاله وآلائه، وأنه مَالك المُلك، وأنه المُعطي والمَانع والضَّار والنَّافع، وأنَّ نواصيَ العباد وأرزاقهم وآجالهم بيده، وأنَّها مُقدَرةٌ عليهم قبل خلق السماوات والأرض بخمسين ألفَ سنه. قال الشيخ السعدي: «فهذه العقائد الصحيحة النافعة (أي: معرفة أسماء الله وصفاته، وأفعاله وآلائه واليوم الآخر والحساب والفضل، والثواب والعقاب) تملأُ القلبَ أمناً وإيماناً ويقيناً ونوراً وهدايةً، وتعبداً لله وتألهاً له، وإنابةً إليه في كل الأحوال، ولجوءاً إليه في كل النَوازل والمُهمات، وطُمأنينةً بمعرفته، وسُكوناً إلى ذكرة والثناء عليه، وتُوجِبُ للعبد قوةَ التَوكُلِ على الله والاعتماد الكامل والاستعانة به في مزَاولة الأعمال الدينية والدُنيوية وكُلَّما ضَعُفَتْ إرادةُ العبد وَوَهَنَتْ قوته في محاولة المهمات، أمَدَه هذا الإيمان الصادق بقوة قلبية تتبعها الأعمال البدنية، وكُلما أحاطَت به المخاوف كان هذا الإيمان حِصْناً

حَصيناً يلجأُ إليه المؤمن، فيطمئن قلبه، وتسكُنُ نفسه، قال تعالىٰ: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَانقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾﴾ [آل عمران: ١٧٣، ١٧٤]»[١].

ثانيها: اليقينُ التام بأنَّ الخَلْقَ مهما بلغت قوتهم وجبروتهم فإنَّهم أقل وأعجز من أن يضُروا المرء شيئاً إلا بما قدره الله عليه، قال تعالىٰ: ﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾﴾ [التغابن: ١١]، وفي حديث ابن عباس المرفوع: (واعْلَمْ أنَ الأُمَةَ لو اجتَمَعت علىٰ أنْ ينفعوكَ بشيء لم ينفعوكَ إلاَّ بشيءٍ قد كتَبَهُ الله لكَ ولو اجتمعوا علىٰ أنْ يضُرُوكَ بشيء لم يضُرُوكَ إلاَّ بشيءٍ قد كتبهُ الله عليكَ، رُفِعَت الأقلام وجفَّت الصُحف)[٢].

ثالثها: يجبُ صرف الخوْف كُله لله - تبارك وتعالىٰ - فَمَنْ صَرَفَ الخوف كله لله واتقاه حقَّ التقوىٰ وخشاه حق

---

(١) الرياض النضرة، للشيخ عبد الرحمن السعدي.

(٢) سنن الترمذي رقم (٢٥١٦) ج (٤) ص (٦٦٧).